د. محمد دودح
باحث علمي بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛ جوابا على السؤال حول الحديث أن للشمس مركبة يرافقها ٣٦٠ ملك والسؤال حول معنى الآية الكريمة (وكل في فلك يسبحون)، أقول مستعينا بالعلي القدير سائله تعالى منحة التوفيق والسداد:

لم ترد الرواية المذكورة في المراجع المعتبرة في "الحديث"، ولم ترد حتى في تفسير محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وإنما في تاريخه المعروف باسم "تاريخ الطبري" أو "تاريخ الأمم والملوك"[١]، وأوردها كذلك أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩ هـ في كتابه "العظمة"[٢]، ويروي مطلعها فزع ابن عباس (رضي الله تعالى عنهم أجمعين) عندما علم أن كعب الأحبار وهو من مسلمة أهل الكتاب يتحدث عن الشمس والقمر بما لا يتفق مع ما يدل عليه القرآن الكريم؛ فقال: "كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام.. قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته ما أجرأه على الله وأعظم فريته"، ولا يتفق طول الرواية مع سمة حديث من أوتي جوامع الكلم ﷺ في الإيجاز بلا إسهاب حيث بلغ عدد ألفاظها ٢٥٥٢ لفظا؛ فضلا عما حوت من غرائب ومنكرات تكفي للتحقق بيقين أنها صنعة القصاصين والوضاعين مثل: "خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلاثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلاثمائة وستين ملكا.. ووكل بالقمر وعجلته ثلاثمائة وستين ملكا.. وخلق الله بحرا فجرى دون السماء.. قائم في الهواء.. فتجري الشمس والقمر.. في.. ذلك البحر فذلك قوله تعالى (كل في فلك يسبحون) والفلك دوران العجلة في.. ذلك البحر.. فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع.. على عجلتها ومعها ثلاثمائة وستون ملكا ناشرو أجنحتهم في الفلك يجرونها.. والذي ترون من خروج الشمس بعد الكسوف.. (هو) من.. ذلك البحر فإذا أخرجوها.. احتملوها حتى يضعوها على العجلة"، قال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: "هذا الحديث الطويل.. مُتَلَقى من الإسرائيليات أو من وضع القصاص الذين يسردون قصصا طويلة في مواعظهم.. فلا يصح.. (و)الأغلب بهذا السياق أنه لم يثبت"[٣]، والحديث الموضوع مختلق مكذوب وهو بالحقيقة ليس بحديث ولكن الأجلاء سموه حديثاً بالنظر إلى زعم راويه، وكثيراً ما يكون من نسج خياله أو معتقدات الأمم أو آثار الصحابة والتابعين ويرفعه الواضع زورا إلى النبي محمد ﷺ.

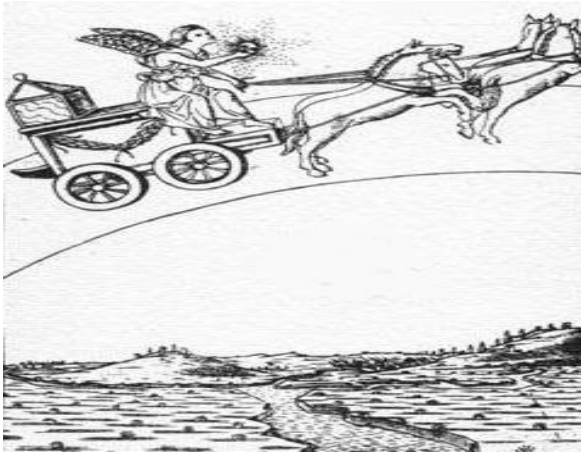

فما هو المصدر الرئيس إذن لخرافة عجلة الشمس؟ إنه من خارج الجزيرة العربية، ففي الأساطير اليونانية القديمة ركب الضوء اللامع Phaeton ابن الشمس Helios عربة الشمس Sun-Chariot وكانت تجرها أربعة خيول، ومع تطور الأسطورة تؤيد الوثائق التوهم بأن الملائكة تقود العربة ويحمل الشمس في كل يوم ملاك، وتضيف الموسوعة العالمية الحرة Wikipedia قائلة: "أسطورة عجلة الشمس حيث تركب فيها الشمس عجلة Chariot ترجع إلى أصول هندية أوروبية Indo-European، وهي مثل أسطورة زورق الشمس Sun Barge في زمن أقدم"[٤].

ووفق الموسوعة العالمية الحرة: "اكتشف مجسد في العام ١٩٠٢ لعجلة الشمس في مستنقع ترونـدولم Trundholm بمنطقة أودشريد Odsherred غرب الدنمرك، وتبين أنه يرجع إلى العصر البرونزي أي منذ حوالي ٤٠٠٠ سنة إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وهو محفوظ اليوم بالمتحف الوطني الدنمركي تحت اسم عجلة الشمس بالدنمركية Solvogn"[٥]، وهل يليق إذن بمحقق نزيه أن ينسب أصول الأسطورة إلى عصر النبوة الخاتمة في القرن السابع بعد الميلاد متخطيا ما يقارب ٤٥٠٠ سنة إلا أن يكون جاهلا بالحقيقة أو متجنيا بلا دليل!.

والآن تأمل إحدى روائع القرآن بترفعه عن الخرافة والدلالة بتلطف على حقيقة لم تُعرف إلا بعده بأكثر من عشرة قرون، فالفكرة السائدة منذ القدم عند كبار الفلاسفة أن النجوم ثوابت وترجع حركتها اليومية لحركة مدارها الذي ظنوه جسما صلبا شفافا ألصقت عليه وتدور بدورانه كل النجوم وأن حركة الكواكب والشمس والقمر ترجع بالمثل لحركة أفلاكها الصلبة الشفافة، ولذا من المدهش قبل عصر الاكتشاف أن يؤكد القرآن الكريم في مواضع عديدة أن الأجرام السماوية هي المتحركة بذاتها وأن لكل منها فلك Orbit يخصه يقطعه في مدة مقدرة؛ يقول العلي القدير: "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مّسَمّى" الرعد 2، ومقام إطلاق القدرة في تقدير حركة كل الأجرام السماوية ناسبه العدول عن التثنية في وصف حركة الشمس والقمر إلى الجمع بلفظ (كُلّ) ليشمل الوصف كل الأجرام، وفي قوله تعالى: "لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّلَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" يس ٤٠؛ قال القرطبي: "(كل) يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب.. (في فلك يسبحون) أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء.. (و)الأفلاك Orbits (هي) مجاري النجوم (والكواكب) والشمس والقمر"[٦]، وقال القاسمي: "التنوين في لفظ (كُلٌّ) عوض عن الإضافة (للأجرام) والمعنى كل واحد من (الأجرام كالشمس والقمر) في فلك خاص به يسبح بذاته"[٧]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[٨].

---

[١] تاريخ الأمم والملوك المعروف باسم تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سمة ٣١٠ هـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1407.

[٢] كتاب العظمة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩هـ، دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

[٣] شرح كتاب العظمة المجموعة الثانية لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

[٤] Wikipedia; Free Encyclopedia

[٥] Wikipedia; Free Encyclopedia

[٦] تفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ - (ج ١١ / ص ٢٨٦).

[٧] تفسير القاسمي ٣٣٥١١.

[٨] تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور الشهير بالطاهر بن عاشور والمتوفى سنة ١٣٩٣ هـ - تفسير يس ٤٠.